معجم المصطلحات اللّغوية في مقدمة ابن خلدون
دراسة في المفاهيم والدلالات

Dictionary of linguistic terms in the introduction of Ibn Khaldun
Study in concepts and semantics

لمياء بوزعوط
جامعة: محمد الصديق بن يحي - جيجل / الجزائر
lamia.bouzaout@gmail.com

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2018-12-02	2019-01-06	2019-06-01

ملخص:

نظرا لأهمية العمل الاصطلاحي في الفكر اللّغوي العربي فقد اهتم علماء اللّغة القدامى بالمصطلحات، لأنها مفاتيح العلوم وركيزتها الأساسية التي تتأسس عليها، ولهذا نتناول في هذه الورقة البحثية جانبا من هذا الموضوع وهو معجم المصطلحات اللّغوية في مقدمة ابن خلدون من خلال دراسة في المفاهيم والدلالات لعدة مصطلحات مختارة، بغية التّعرف على الرّؤية الخلدونية للمصطلح اللّغوي ومدى اشتغاله عليه في المقدمة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح، المصطلح اللّغوي، ابن خلدون، اللّغة، اللّسان.

Abstract:

Because of the importance of conventional work in the Arabic linguistic thought, the ancient linguists concerned with terminology, because they are the keys to science and its basic focus on which it is bassed. Therefore, we consider in this paper a part of this topic, the glossary of linguistic terms in the introduction of Ibn Khaldun through a study of the concepts and indications of several terms With a view to identifying the colloquial vision of the linguistic term and the the extenet to which it operates in the introduction.

Keywords: Term, The linguistic term , Ibn khaldun, The language, the tongue.

تمهيد:

اللّغة العربية على غرار اللّغات الأخرى، أولاها العلماء والباحثون واللّغويون بقسط وافر من الاهتمام والدّراسة، ولعلّ أهم القضايا والبحوث اللّغوية التي حظيت بالاهتمام قضية المصطلح، وذلك لإدراكهم المبكر لأهمية المصطلح لأنه روح النّص العلمي ووتره الحسّاس، ووريده الذي لا ينبض إلا به، فالمصطلحات والعلم توأمان يولدان معا، لا يوجد أحدهما دون الآخر، ويشير إلى ذلك "عبد السلام المسدي" في قوله: «مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يتميز به كل واحد منه عما سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية»[1] ولهذا راح علماء اللّغة القدامى يحددون المفاهيم الاصطلاحية التي اجتهدوا في التّوصل إليها في شتى علوم اللّغة، إذ لا يوجد مصنّف واحد صنّفوه في أي علم من تلك العلوم يخلو من الشّرح اللّغوي والاصطلاحي للمصطلحات، الأمر الذي تجلت أهميته وتجسد فعله في تلك المعاجم التي صنّفوها في ذلك.

والمطلّع على مقدمة(ابن خلدون ت 808ه)[2] يدرك وعيه بدور المصطلح في أداء المفاهيم، وصياغة المصطلحات، وفي توقف فهم العلوم عليها، ويتجلى ذلك في حرصه المطرد على تحديد مفهوم ما يستعمله من المصطلحات تمهيدا لما يعرضه من آراء ويشرحه من نظريات، ويدافع عنه من مواقف[3].

ولا ريب أن ابن خلدون من ألمع الشخصيات العربية الإسلامية التي حظيت بمكانة متميزة عند المفكرين الغربيين أمثال العالم المؤرخ المعاصر (أرنولد توينبي) يقول: « لقد توصل ابن خلدون إلى فلسفة التّاريخ، ويعد عمله هذا أعظم عمل أو تأليف أبدعه فكر في أي زمان ومكان»[4] بالإضافة إلى المفكرين العرب أمثال الأستاذ (أحمد أمين) الذي يقول: «لابن خلدون ومثله قليل من العلماء قريحة متوقدة، وله قدرة فائقة على الحكم على الأشياء، وله ابتكار نادر، إن أخذ من علم الأقدمين فليغذي ذهنه ويهضمه، وليخرجه شيئا جديدا يمتاز عن علم من سبقه، لأن فيه شخصيته وابتكاره وآراءه، وإذا وجد حلقة مفقودة في سلسلة تفكيره ولم يجد لها أصلا فيما كتبه سلفه استطاع أن يخلقها خلقا وينشئها إنشاء، فهو جديد فيما أخذه عمن قبله، وهو جديد فيما اخترعه»[5] .

ولكن قلما سلطت الأضواء على جهوده وآرائه اللّغوية، رغم أنه اهتم كثيرا بدراسة اللّغة، واستفاد من أعلام اللّغة والأدب، وقد «عقد في آخر الباب السادس من مقدمته اثني عشر فصلا تستغرق زهاء مائة صفحة في علوم اللّسان العربي، فلم يغادر أي فرع من فروع اللّغة العربية وآدابها إلّا تكلّم عنه بإفاضة، وما كتبه في هذه الفصول لا يدل على قوة تمكنه وسعة اطّلاعه في اللّغة العربية وآدابها فقط، بل يسمو به إلى مستوى الأئمة وكبار المتخصصين في هذا المجال»[6].

وهذا المقال يروم إلى بيان رؤية ابن خلدون للمصطلحات اللّغوية، ومدى اشتغاله وجهوده في هذا المجال، من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما مدى اعتناء (ابن خلدون) بالمصطلحات اللغوية من خلال المقدمة ؟ وللإجابة عنها قسمنا المقال إلى مبحثين: أولها قراءة مصطلحات ومفاهيم: المصطلح، المصطلح اللّغوي، وثانيها تطرقنا إلى هذه المصطلحات اللّغوية .

1- مصطلحات ومفاهيم:

- **تحديد مفهوم المصطلح (Term) :**

الحديث عن المصطلح في أي مجال من المجالات ضرورة ملحة، تفرضها جملة من المعطيات، سواء تعلقت بالشخص الذي يتعاطى هذه المصطلحات أو بالمجال العلمي الخاص بها .

وقد وردت الدلالة اللّغوية لكلمة مصطلح في المعاجم اللّغوية العربية سواء كانت قديمة أو حديثة، انطلاقا من المادة اللّغوية(ص، ل، ح)« فالصّلاح: ضد الفساد... والصِّلاح بكسر الصاد: المصالحة، والاسم الصلح، يذكر ويؤنث، وقد اصطلحا وتصالحا واصّالحا أيضا، مشدّدة الصاد ... والاصطلاح: نقيض الإفساد، والمصلحة: واحدة المصالح والاستصلاح: نقيض الاستفساد»[7]، ويقال: « صلحت حال فلان، وهو على حال صالحة ... وصلح الأمر، وأصلحته ... وصلح فلان بعد الفساد ....، وصالحه على كذا، وتصالحا عليه واصطلحا، وهو لنا صلح أي مصالحون»[8] .

فمن هذه التعاريف نستنتج أن معظم المعاجم اللّغوية العربية القديمة تتفق على أن مادة (ص،ل،ح) تحمل معنى الاتفاق في الشيء والتواضع عليه، كما وجد في معاجم اللّغة الحديثة " كالمعجم الوسيط" ، و"قطر المحيط" وغيرها، حيث جاء في هذا الأخير: « صلح الشيء يصلح وصلُح، صلاحا وصلوحا وصلاحة من باب نصر ومنع... وتصالحا واصتلحا واصطلحا... خلاف تخاصما ... واستصلح الشيء نقيضه استفسد ... الصلح والسلم»[9].

ومثله في "المعجم الوسيط": « اصطلح القوم: زال مابينهم من خلاف على الأمر ... الاصطلاح: مصدر اصطلح اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته »[10].

فالمدلول المعجمي لهذه المادة « هو التّصالح والتّسالم، فكأنّ النّاس اختلفوا عند ظهور مدلول جديد على تسميته، فذهب فريق من القوم إلى إعطائه اسما، واقترح فريق آخر دالا مغايرا، وارتأى فريق ثالث تسمية مباينة، وكان من نتيجة هذا اختلاف القوم واحتدام ما بينهم إلى أن تصالحوا وتسالموا على تسمية واحدة لذلك المدلول» [11].

كان هذا في ما يخص تعريف المصطلح لغة أمّا اصطلاحا فقد عرّفه العرب القدامى بأنّه لفظ تواضع عليه القوم لأداء مدلول معيّن، أو أنه لفظ نقل من معناه اللّغوي إلى معنى جديد في ميدان اختصاص معيّن،

فقال (الشريف الجرجاني) في كتابه "التعريفات": «الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشّيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللّفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللّفظ إزاء المعنى. وقيل: الاصطلاح: إخراج الشّيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد. وقيل: الاصطلاح لفظ معيّن بين قوم معيّنين »[12]، وهذا التّعريف يركّز على الجانب الأهم في المصطلحات وهو انتقال اللّفظ للدّلالة على معنى جديد غير المعنى اللّغوي، وإن كان كل تعريف منها يركز على خاصية محددة من خواص المصطلح.

وفي العصر الحديث يقدم (محمود فهمي حجازي) أفضل تعريف كما اتفق عليه المتخصصون في علم المصطلح على أنه: « الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية أو هو مفهوم مفرد، أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها، وحُدد في وضوح، أو هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللّغات الأخرى، يرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحدد بذلك وضوحه الضروري » [13]، وهذا التّعريف يشمل على عدة سمات يتميّز بها المصطلح عن اللّفظ العام ولعلّ ذلك ما جعله أفضل تعريف في حين التّعريفات الأخرى ركّزت على سمة واحدة فقط.

ويطلق على المصطلح في اللّغات الأوروبية ألفاظ تكاد تكون متفقة من حيث النّطق والإملاء لامتلاكها الجذر الاشتقاقي نفسه (*Term*) وإذا بحثنا عن معنى كلمة *Term* في القاموس الفرنسي "*Littré*" نجد:

«*Expression particulière à un art, à une science , terme de métier , de droit, etc...*»[14]

بمعنى أنّ المصطلح عبارة خاصة بفن أو علم أو مصطلح حرفة أو قانون الخ...، كما عرّفه دوبوك "*Dubuc* " « *Le terme, encore appelé unité terminologique ou terminologisme, est l'élément constitutif de toute nomenclature terminologique liée à une langue de spécialité. On peut donc le définir comme l'appellation d'un objet propre à un domaine donné* »[15].

أي أنّ المصطلح هو العنصر المكوّن لكلّ صنافة مصطلحية، وأنّه متعلق بلغة اختصاص، إذ يمكن تعريفه بأنّه تسمية شيء ما خاصّ بمجال معيّن.

- **تحديد مفهوم المصطلح اللّغوي (The linguistic term):**

على اعتبار أنّ المصطلح هو « اللّفظ أو العبارة أو الرّمز الذي يقيّد مفهوما ويحدّده، مجردا كان هذا المفهوم أو محسوسا، داخل مجال من مجالات المعرفة»[16] ، بمعنى أنّه قد يكون لفظا، وقد يكون رمزا لغويا.

فإنّ لكلمة المصطلح دلالتان الأولى لغوية مأخوذة من المادة (ص.ل.ح)، والثانية اصطلاحية وهي «اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص»[17]

هذا الاتفاق والتواطؤ أو التّصالح إن تمّ بين جماعة من النّحاة صنعوا مصطلحا نحويا، وإن قام بين جماعة من اللّغويين نتج عنه مصطلحا لغويا، فكلمة الاصطلاح إذن تعني الاتفاق بين اللّغويين على استعمال ألفاظ معيّنة في التّعبير عن الأفكار والمعاني اللّغوية، وهو ما يعبّر عنه بالمصطلح اللّغوي[18]، ومعنى هذا أنّ كل طائفة علمية تتفق فيما بينها على الأمور الاصطلاحية التي تفي بأغراضها.

والفكرة الأساسية في المصطلح هي أن يكون « أداة تجميع لطائفة من المعلومات أو الصفات النّوعية أو الخصائص في أصغر حيّز لغوي دال هو اللّفظة، بحيث تقوم اللّفظة بديلا في الفكر عنها» [19] .

2- المصطلحات اللّغوية والرؤية الخلدونية:

يتوقف (عبد الرّحمن بن خلدون) في عدد من فصول مقدمته عند معاينة الواقع اللّغوي للسان العربي، متفطنا إلى أنّ اللّغة ركيزة المجتمع في دعم صرحه الحضاري عبر التّاريخ، والوسيلة الأساسية في إرشاد المؤرّخ وحمل المعالم التّاريخية بين رموزها، ونجده قد تناول بعض المصطلحات اللّغوية في الفصل السادس من الكتاب الذي عنونه ب: " في العلوم وأصنافها والتّعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال" وخصّها في الفصل السادس والأربعين تحت عنوان " في علوم اللّسان العربي" وقد اختار (ابن خلدون) مسلك أبي حيان النّحوي في استخدام مصطلح علوم اللّسان العربي، وتصرف فيه بأن «اشتق منه العلوم اللّسانية، ولكنه اجتهد في مضمونه فأقام تصورا تصنيفيا وبنى بنية رباعية تكشف تصورا نظريا يحدد المراتب التي تتجلى عليها الظاهرة اللّغوية إطلاقا»[20].

وذلك يوضح لنا أنّ العلوم كلها لا معنى لها من دون علم اللّسان، فبواسطته يتم التّعبير عن مختلف تلك العلوم، كما يقول الدكتور (عمار ساسي): «جماع العلوم كلّها هو في علوم اللّسان ، وأنّ اللّسان وعاؤها ولباسها، فكأنّ العلوم لا معنى لها حتى يأتي علم اللّسان ليظهرها، وكأنّها ميتة حتى يأتي علم اللّسان ليحييها، وكأنّها ساكنة حتى يأتي هو ليحركها»[21] .

وبذلك يتضمن معجم (ابن خلدون) اللغوي من المصطلحات الآتية على سبيل المثال لا الحصر:

مصطلح اللّسان (The tongue):

لم يبين (ابن خلدون) مفهوما واضحا لمصطلح اللّسان، ولكنه تطرق إلى علومه في الفصل السادس والأربعين عندما عنونه ب: في علوم اللّسان العربي حيث ذكر أنّ أركانه أربعة وهي اللّغة، والنّحو، والبيان، والأدب، وقد تحسّس العلاقة الرّابطة بين أركانه والمتمثلة في التّوفية بمقصود الكلام، وبالتالي تحقيق غرض المتكلم، وذكر أنّ معرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ يقول إنّ: « مأخذ الأحكام الشرعية كلّها من الكتاب والسّنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتّابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم. فلابدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللّسان لمن أراد علم الشّريعة»[22] كما أنّها متفاوتة في القيمة والرّتبة بحسب دورها في

تحصيل الملكة لدى المتكلم، وهذا العلم في ضوء علم اللّغة الحديث هو«الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة لكل قوم»[23] فهو الدراسة العلمية التي تتناول اللّسان من خلال التّطلع إلى أسرار اللّسان كظاهرة بشرية عامة الوجود.

ولكن ما نلاحظه أنّه قام بتوظيف مصطلح اللّسان أحيانا في نفس السّياق مع مصطلح اللّغة ، وأحيانا يستعمله في سياقات مختلفة، ذلك أنّ هذا التّرادف بين اللّغة واللّسان من ناحية، وتفرّد اللّغة بمدلولات خاصة من ناحية أخرى أنّ « اللّسان مرادف "للغة" من حيث دلالة كليهما على نظام علامي بعينه، وهذا ما يفسر ورودهما في المقدمة بهذا المعنى، موصوفين أو مضافين، قصد التّخصيص أو الزّيادة في التّعريف، ومصطلح "اللّغة" ميّزه الاستعمال بمدلولات تختلف باختلاف السّياق، ولا يمكن أداؤها بمصطلح "اللّسان" ومنها في المرتبة الأولى معنى أداة التّخاطب عامة بغض النظر عن كونها خاصة بقوم دون قوم، وفي المرتبة الثانية معنى ما نسميه اليوم باللّهجات، باعتبارها متفرعة عن لغة واحدة، وفي المرتبة الثالثة معنى المفردات التي تضمها المعاجم»[24] .

ويرى الدكتور (عمار ساسي) أنّ (ابن خلدون) قد فرّق بين اللّغة واللّسان اللّذين نستخلص مفهومهما من خلال مجموعة نصوص في كتاب المقدمة إذ نتج عن ذلك ثنائية جديدة وهي ثنائية اللّغة واللّسان التي تتبلور عنها ثلاثية الإنسان يتكلم اللّسان ويتعلم اللّغة، أي ثلاثية الإنسان، اللسان، اللّغة [25] ، هذا وإن دلّ فإنما يدل على أنّ (ابن خلدون) قد أضاف جديدا عند تفرقته بين المصطلحين وهو ما لم يعرض له اللّغويون القدامى (كابن جني) مثلا.

مصطلح النّحو (Grammar):

لم يقدم (ابن خلدون) تعريفا مباشرا لهذا المصطلح، ولكنه يحاول أن يقف مع كل مصطلح يستعمله لتحليل مفاهيمه، وتوصيلها للمتلقين، ونجده يحيط بماهية علم اللّغة ومدى أهميته بالنّسبة لعلم النّحو، وعلم اللّسان، وذلك من أجل الوصول إلى ماهية النّحو في إطار العلاقة القائمة بين علم النّحو وعلم اللّغة.

وما نلاحظه من خلال تقسيمه لعلوم اللّسان العربي تركيزه على علم النّحو، وتقديمه على باقي الأركان الأخرى، وهو يعتمد في ذلك على ثلاث نقاط[26] :

- بالنّحو تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر.
- لولاه لجهل أصل الإفادة.
- في جهله الإخلال بالتفاهم جملة.

وقد جعل أسبقية علم النّحو على علم اللّغة لأنّ مقياس الموازنة ذو بعد وظيفي، فعلم النّحو سابقا لعلم اللّغة سبقا اعتباريا لا سبقا زمنيا، وما يطرحه (ابن خلدون) أمر ملموس ومتداول عمليا، بحكم كون علم النّحو علما وضعيا شأنه شأن القوانين الوضعية التي تعمل على تحويل طبيعة الأمور الفطرية والتّحكم فيها[27].

وتصوره للنّحو ينطلق من حديثه عن أفضلية الملكة العربية على باقي الملكات الأخرى من خلال قوله: «...وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني»[28] ، فالملكة عنده صفة راسخة في النّفس تتم نتيجة استعمال الفعل وتكراره مرات عديدة، وهذا يعني أنّه لتحصيل الملكة لدى الفرد لا بدّ من تكرار الفعل مرات عديدة حتى تترسّخ في ذهنه، ولكن بعد مجيء الإسلام ومخالطة العجم تغيرت تلك الملكة وفسدت حيث يقول: « ...فلما جاء الإسلام ، وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدّول تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السّمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم، والسمع أبو الملكات اللّسانية ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها...»[29].

فحسب رأيه فساد اللّغة يكمن في فساد نظام نحوها وتراكيبها، وبالتالي فساد ملكة هذه اللّغة، ومع هذه التغيرات والاصطلاحات الجديدة التي اصطلحوا على تسميتها علم النّحو وأول من كتب فيها (أبو الأسود الدؤلي) وهو ما تجمع عليه أغلب الرّوايات المنقولة إلينا أنّه هو واضع علم النّحو سواء أوعز إليه ذلك الإمام (علي رضي الله عنه) أم لا، لكن مصطلح النّحو بدأ بسيطا معه، وهو أول من قام بعملية التّصنيف لتلك المصطلحات بناء على نبأ رسالة (علي بن أبي طالب) إليه والتي يقول فيها: الكلم اسم، وفعل، وحرف، ثم أمره أن ينحو هذا النّحو، وإلى هذا التّصنيف تندرج جميع أبواب النّحو التي عرفها النّحو العربي إلى اليوم، فهو الذي نطق بحركات الإعراب، الضمة، والفتحة، والكسرة، حينما قال لكاتبه: إذا رأيتني أفتح فمي فجاء مصطلح الفتح، ولما قال: إذا رأيتني أضمّ فمي جاء مصطلح الضّم... وهكذا ثم سميت العلامات الحركات[30].

مصطلح اللّغة (The language):

اهتم (ابن خلدون) باللّغة باعتبارها وسيلة من وسائل التفاهم ووسيلة للتّعلم وتحصيل الثقافات، وهي أداة لنقل الأفكار والرّابط الذي يجمع بين أفراد المجتمع الواحد.

وقد عرّفها في بداية فصل علم النّحو قائلا: « اعلم أنّ اللّغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة مقرّرة في العضو الفاعل لها ، وهو اللّسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها»[31] ويمكن أن نميز في هذا التّعريف بين ثلاثة عناصر هي كما حدّدها (عبد السّلام المسدي): التّصويت والتّواصل، والعقد الاجتماعي، «فاللّغة أولا هي فعل لساني، واللّسان في هذا السّياق من التّعبير الخلدوني لا يعني اللّغة بل جهاز التّصويت البشري، بحيث

يفهم هنا في إطار دلالة الجزء على الكل من جهة أنّ اللّسان عنصر من عناصر جهاز التّصويت بحيث يحتل اللّسان بينها مكانة مهمة في تنويع الأصوات اللّغوية وتحقيق الفروق بينها »[32] .

وما نلاحظه أنّ تعريفه قريب من تعريف (ابن جني) الذي عرّفها« حدّ اللّغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[33] فكلاهما اعتبر اللّغة نشاطا إنسانيا مكتسبا بين أفراد الأمة الواحدة.

وعن علم اللّغة يقول: « هذا العلم هو بيان الموضوعات اللّغوية»[34] والمراد من الموضوعات أجزاء اللّغة وضعا، بمعنى جمع المفردات اللّغوية من حيث هي المادة الأولية للكلام وهي ما تواضعت عليه الجماعة الواحدة عبر الأزمنة السابقة من كلمات ومعان ويقصد به « ما تواضع عليه المتكلمون من كلمات ومعان أي: دوال ومدلولات»[35].

وقد تناول (ابن خلدون) تاريخ هذا العلم بدءا من (الخليل بن أحمد الفراهيدي) الذي ألّف فيها كتاب "العين"، و(الجوهري) من المشارقة الذي ألّف كتاب "الصّحاح" على التّرتيب المتعارف لحروف المعجم، ثم ألّف فيها من الأندلسيين (ابن سيده) من أهل دانية كتاب "المحكم" على نحو ترتيب كتاب "العين"، ومن الكتب الموضوعة أيضا في اللّغة كتاب (الزّمخشري) في المجاز وسمّاه "أساس البلاغة" كما ألّف (الثعالبي) كتاب له سمّاه "فقه اللّغة" [36]، وقد تعددت مواطن الكلام على مصطلح اللّغة في مقدمته لأهميتها عنده، فمثلا ما يسمى اليوم اللّغة الفصحى يسميها (ابن خلدون) لغة مصر، لسان العرب، اللّسان العربي، وما يسمى اليوم باللّغة العامية كان يشير إليه بلغة الأمصار، ولغة الجيل، ولغة العرب لهذا العهد.

مصطلح البيان (Statement):

تناول (ابن خلدون) علم البيان بعد علم اللّغة وهو من العلوم اللّسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني، وقد اشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن الدلالات وجعل على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: يبحث فيه عن الهيئات والأحوال التي تطابق باللّفظ جميع مقتضيات الحال، ويسمى علم البلاغة.

الصنف الثاني: يبحث فيه عن الدلالة على اللّازم اللّفظي وملزومه وهي الاستعارة والكناية، ويسمى علم البيان.

الصنف الثالث: وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق، إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه وغيرها، ويسمى عندهم علم البديع[37].

وما نلاحظه من ذلك أنّ (ابن خلدون) قد تحدث عن البلاغة عند العرب وسماها علم البيان، وذلك من باب تسمية الكل باسم جزئه، وقد درج كثير من الدارسين – ومنهم بعض المحدثين- على تسمية علوم البلاغة بعلوم البيان لما لهذا المصطلح من دلالة وأثر في العقل العربي لارتباطه بالقرآن الكريم.

وفي حديثه عن فائدة هذا العلم يقول: « واعلم ثمرة هذا الفن إنّما هي فهم الإعجاز من القرآن لأنّ إعجازه في وفاء الدلالة منه بجمع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام، مع المال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وإنّما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللّسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مُبلِّغه أعلى مقاما في ذلك...»[38].

مصطلح الأدب (Literature):

تطرق (ابن خلدون)إلى مصطلح الأدب واعتبره من العلوم اللّسانية، وقد أدّى تصنيفه للعلوم إلى التّعامل مع الأدب باعتباره علما تابعا، أو علما مساعدا له، وذلك لمعرفة أسرار العربية من أجل تفسير النّص الدّيني « إذ مأخذ الأحكام الشّرعية كلّها من الكتاب والسّنة وهي بلغة العرب... فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللّسان لمن أراد علم الشريعة»[39].

ويفيد هذا الغرض الأسمى من الأدب حصول القدرة على فهم القرآن الكريم وكلام الرّسول ﷺ ومعرفة بناء الألفاظ والدلالات من أجل استنباط الأحكام، ومن هنا يعرفه أنّ: « هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللّسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم»[40] ، ويشير صاحب المقدمة إلى أنّ علم الأدب رغم أنّه لا موضوع له إلاّ أنّه علم يعتمد على العلوم الثلاثة السابقة – النّحو واللّغة والبيان- أي أنّه اشتراك هذه الأركان ونتاجها، إذ يندرج ضمنه فن الشعر وفن السجع ومسائل من اللّغة والنّحو وأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم، ونجد(ابن خلدون) قد استطرد من جانب آخر فيحد الأدب بقوله: « الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللّسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط، وهي القرآن والحديث، إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب»[41] ويغدو بهذا المعنى فضاء جامعا لمجموعة من المعارف والفنون والعلوم التي لها صلة باللّغة العربية وثقافتها ، ليكون الأديب بهذا الاعتبار مكلفا بنقلها فحسب وليس باستنباطها، وهذا الدور يبدو منسجما مع الدور المفترض للفقيه والعالم الأصولي الذين كانت وظيفتهم نقل المعارف الضرورية عن العالم التي تكفل للناس المعاش حسب التّصور الإسلامي.

وقد اعتبر الغناء من أجزاء هذا الفن في قوله: « وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر، إذ الغناء إنّما هو تلحينه»[42] ، فهو يرى أنّ فن الغناء مهم لعلم الأدب ويفسر لنا ارتباط الشعر

والغناء في مسألة التلحين، وأنّ الهدف منه هو تحقيق هذا الفن في ذاته تحصيلا لأساليب الشعر من جهة، وتسهيلا للأداء الشعري الصحيح من جهة أخرى.

خاتمة:

نخلص في الأخير إلى النقاط التالية:

ـ الرؤية الخلدونية في المجال اللّغوي لا تقل أهمية عن غيرها من الآراء الأخرى وتتضح في هذه الدّراسة من خلال اهتمامه واشتغاله على المصطلح اللّغوي ودوره في أداء المفاهيم وصياغة المعلومات، وفهم العلوم.

ـ انطلق في تنظيره لعلوم اللّسان من واقعه اللّغوي الذي يرى أنّ أركانه أربعة وهي النّحو، واللّغة، والبيان والأدب، ورتّبها بحسب وظيفتها واضعا النّحو في المرتبة الأولى من بين الأركان الأخرى، وهذا التّصنيف يكاد يكون مطابقا لما نجده في اللّسانيات المعاصرة.

ـ يرد مصطلح اللّغة واللّسان في المقدمة أحيانا في سياق واحد وكأنهما مترادفان، وأحيانا في سياقات متعددة ولعلّ ذلك يرجع إلى التّقارب الشديد في الدلالة.

ـ لا يمكن لعلم اللّغة أن يؤسس مفاهيمه، ولا أن يتقدم وينال صدارته بين مختلف العلوم دون تكوين منظومة مصطلحية تضبط تنظيره وتقعّد لمعالمه.

الهوامش :

---

[1]- عبد السلام المسدي، قاموس اللّسانيات، الدّار العربية للكتاب، 1984، ص11.

[2] - هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، ولد في تونس(732ه)، عدّد له المؤرخون عددا من المصنفات في التاريخ والحساب والمنطق، غير أن من أشهر كتبه " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ، ويقع في سبعة مجلدات أولها المقدمة، وتشغل من هذا الكتاب ثلثه، وتعتبر واحدا من زخائر التّراث ونوادر الفكر، ونفائس الإبداع التي أثرى بها العلماء المسلمون الفكر الإنساني، ولقيمة هذا الكتاب احتفى به من جاء بعده من عرب وعجم، وظلّ موضوعا للدراسة ومادة للمناقشة والأخذ والرّد، والنّقد والإشادة.

[3]- ينظر، عبد القادر المهيري، نظرات في التّراث اللّغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ط1، ص 181.

[4]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمّد الدّرويش، دار يعرب، دمشق، 2004، ط1،ج1، ص 71.

[5]- المصدر نفسه، ص 74.

[6]- فضل الله، اللّغة والأدب عند ابن خلدون، مجلة القسم العربي، باكستان، ع 16، 2009، ص124.

[7]- الجوهري، تاج اللّغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1979،ط2، ص383.

[8]- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب، بيروت، 1998، ط1، ج1، ص 554.

[9]- بطرس البستاني، قطر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1869، ج1، ص114.

[10]- مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ط4، ص5204.

[11] - ممدوح محمد خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، 2008، ط1، ص13.

[12] - الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 2002، ص30.

[13] - محمود فهمي حجازي، الأسس اللّغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، مصر، ص 11-12.

[14] - *Le Nouveau Littré, Editions Garnier, Paris, 2005, p 1717.*

[15] - *Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie, 4éme édition, Québec, Canada, 2005, p 33 .*

[16]- أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، معهد الدراسات المصطلحية، المغرب، 2005، ص 26.

[17]- مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة الكويت، 1969، ط1، ص459.

[18]- ينظر،عزة حسين حسين غراب، المصطلحات اللّغوية بين الحنفية والشافعية، مطبعة ناشي دمياط، 2014، ص9.

[19]- المرجع نفسه.

[20]- فضل الله، اللغة والأدب عند ابن خلدون ،ص 126.

[21]- عمار ساسي، صناعة المصطلح في اللّسان العربي، نحو مشروع تعريب المصطلح العلمي من ترجمته إلى صناعته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012، ص 175_ 176.

[22]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، ص 367.

[23]- التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللّسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص24.

[24]- عبد القادر المهيري، نظرات في التّراث اللّغوي العربي، ص187.

[25]- ينظر، عمار ساسي، صناعة المصطلح في الوطن العربي، ص187.

[26] - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، ص367.

[27]- ينظر، عبد السلام المسدي، التّفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، ص 236-239.

[28]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، ص 367.

[29]- المصدر نفسه، ص368.

[30]- ينظر، تمام حسان، مقالات في اللّغة والأدب، عالم الكتب، ج2، ص 101.

[31]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، ص367.

[32]- مجدي بن عيسى، اللّسان وعلومه في مقدمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر، 2015، ص 10.

[33]- ابن جني، الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصرية، مصر، 1913، ج1، ص 33.

[34]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، ص 370.

[35]- التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللّسان، ص 15.

[36]- ينظر، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، ص 370-372.

[37]- المصدر نفسه، ص 373.

[38]- المصدر نفسه، ص 375-376.

[39]- المصدر نفسه، ص 367.

[40]- المصدر نفسه،ص 376.

[41]- المصدر نفسه، ص 376.

[42]- المصدر نفسه، ص 377.